

"الرَّدُّ الْعِلْمِيُّ الْمُخْتَصَرُّ"

رُدُودٌ عِلْمِيَّةٌ مُخْتَصَرَّةٌ ، أُنْتَاوَلُ فِيهَا -أُسْبُوعِيًّا- كِتَابًا ، أَوْ مَقَالًا ، أَوْ مَحْتَوَى مِنْ مَحْتَوَيَاتِ شَبَكَاتِ التَّوَاصُلِ ؛ مِمَّا يُنْتِجُهُ الْمُخَالِفُونَ ؛ سِوَاءَ كَانُوا مُبْتَدِعَةً مُخَدِّعِينَ ، أَوْ لِيْبِرَالِيِّينَ ضَالِّينَ ، أَوْ مِنْ جَانِبِهِ الصَّوَابُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُؤَخِّدِينَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ ، وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى آلِهِ ، وَصَحَابَتِهِ ، وَالتَّابِعِينَ ... أَمَّا بَعْدُ :

الرَّدُّ السَّادِسُ (تَابِعٌ ...):

عَلَى شُبُهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَوْلَ : فَلِسْطِينَ ، وَالْقِتَالِ لِدَفْعِ الْغَاصِبِ الْمُحْتَلِّ مِنْهَا .
النَّقِْلِ : مَجْمُوعَةٌ مِنَ اللَّيْبِرَالِيِّينَ ، وَبَعْضِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ؛ مِنَ الْمُتَنَسِّبِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ .

(١)

رَدُّ الشُّبُهَةِ الرَّابِعَةِ :

وَهِيَ :

قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْقِتَالَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي سَيُفْتَحُ بِهِ "بَيْتُ الْمَقْدِسِ" هُوَ الَّذِي سَيَقُودُهُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، أَمَّا هَذَا الْقِتَالُ -الآن- فَهُوَ قِتَالٌ فِتْنَةٌ .

وَلِدَجَوَابٍ عَلَى هَذِهِ الشُّبُهَةِ أَقُولُ :

هَذِهِ شُبُهَةٌ مُهْلَهَلَةٌ ، لَا قِيَمَةَ لَهَا ، مُطْرَحَةٌ مِنْ أَصْلِهَا ، وَقَارِيءُ التَّارِيخِ الْبَسِيطُ يَسْتَطِيعُ الرَّدَّ عَلَيْهَا بِأَسْهَلِ مَا يَكُونُ ، وَذَلِكَ :

[١] بَأَنَّ يَقُولُ :

- وَهَلْ مَا فَعَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -وَمَنْ مَعَهُمْ- لَمَّا قَاتَلُوا لِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ هَلْ يُعْتَبَرُ قِتَالٌ فِتْنَةٌ!؟

- وَهَلْ مَا قَامَ بِهِ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ يُعْتَبَرُ قِتَالٌ فِتْنَةٌ!؟ أَمْ هُوَ قِتَالٌ لِاسْتِرْدَادِ مُقَدَّسَاتِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ الْمُعْتَصِبِينَ!؟^(١) .

(١) بعد الفتح الأول ظل بيت المقدس تحت حكم المسلمين خمسة قرون تقريبًا ؛ حتى استولى عليه الصليبيون في أثناء حكم العبيديين ، ومكث في أيديهم قريبًا من تسعين سنة ، ثم استرده صلاح الدين ، والمسلمون ، وظل في حوزة المسلمين أكثر من ثمانية قرون ، إلى أن جاء الاستعمار البريطاني للأمم فاستولى عليه ، وسلمه لليهود عليهم لعنة الله ، وسيرجع في أيدي المسلمين إن شاء الله ، طال الزمن ، أو قصر ، {وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} [الروم: ٥] .

وَسَتَسْتَمِرُّ هَذِهِ الْفُتُوحَاتُ ، فَكُلَّمَا سَقَطَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ سَعَى الْمُسْلِمُونَ الْمُوَحِّدُونَ لِاسْتِرْدَادِهِ ، كَمَا يَفْعَلُونَ الْآنَ .

[٢] ثُمَّ إِنَّ ظَوَاهِرَ النُّصُوصِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي قِتَالِ الْيَهُودِ آخِرَ الزَّمَانِ -فِيَمَا أَعْلَمَ- جَاءَتْ عَامَّةً ، لَمْ تَخُصَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بِفَتْحٍ ، وَلَا عَيْرِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

رَدُّ الشُّبْهَةِ الْخَامِسَةِ :

وهي :

قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْقِتَالَ الدَّائِرَ -الآنَ- هُوَ إِقْيَاءٌ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُتَكَافِئٍ الْكِفْتَيْنِ ، مِمَّا أَدَّى -كَمَا هُوَ مُشَاهِدٌ- إِلَى قَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ ؛ مِنْ الْأَطْفَالِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَالشُّيُوخِ .

وَلِلْجَوَابِ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ أَقُولُ :

لَيْسَ هُوَ -فِيَمَا أَرَى- إِقْيَاءٌ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ؛ لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ :

[١] لِأَنَّهُ قِتَالٌ دَفْعٌ لِعَدُوِّ صَائِلٍ ، وَجِهَادٌ دَفْعٌ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ تَكَافُؤُ الْعَدَدِ ، وَلَا عِبْرَةٌ بِهِ -هُنَا- الْعِبْرَةُ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ ، مَعَ الْإِسْتِعْدَادِ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ ، وَالْإِمْكَانِ ،

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ ؛ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنِ الْحُرْمَةِ ، وَالدِّينِ ؛ فَوَاجِبٌ إِجْمَاعًا ، فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ ، وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ ، فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ ، بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَصْحَابُنَا ، وَغَيْرُهُمْ فَيَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ دَفْعِ الصَّائِلِ الظَّالِمِ الْكَافِرِ ، وَبَيْنَ طَلْبِهِ فِي بِلَادِهِ" (١) ،

وَيَقُولُ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ : "وَإِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ بِلَادَ الْإِسْلَامِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ دَفْعُهُ عَلَى الْأَقْرَبِ ، فَأَلْأَقْرَبِ ؛ إِذْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ الْبَلَدَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَأَنَّهُ يَجِبُ النَّفِيرُ إِلَيْهِ بِلَا إِذْنِ وَالِدٍ ، وَلَا غَرِيمٍ ، وَقِتَالُ الدَّفْعِ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ الْعَدُوُّ كَثِيرًا لَا طَاقَةَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ ، لَكِنْ يُخَافُ أَنْ انصَرَفُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ عَطَفَ الْعَدُوُّ عَلَى مَنْ يُخَلَّفُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَهُنَا قَدْ صَرَّحَ أَصْحَابُنَا بِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَبْدُلُوا مَهْجَهُمْ ، وَمَهْجَ مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِمْ فِي الدَّفْعِ حَتَّى يَسْلَمُوا ، وَنَظِيرُهَا

(١) الفتاوى الكبرى (٥/٥٣٨-٥٣٩) .

أَنْ يَهْجُمَ الْعَدُوَّ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَكُونَ الْمُقَاتِلَةُ أَقَلَّ مِنَ النَّصْفِ ؛ فَإِنْ أَنْصَرَفُوا اسْتَوْلُوا عَلَى الْحَرِيمِ ؛ فَهَذَا ، وَأَمثَالُهُ قِتَالٌ دَفْعٌ لَا قِتَالٌ طَلَبٌ ، لَا يَجُوزُ الْإِنْصِرَافُ فِيهِ بِحَالٍ ، وَوَقَعَهُ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ " (١) ،

[٢] ثُمَّ إِنَّ الْمُجَاهِدِينَ -الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي الْمَيْدَانِ- الْمُقَاوِمِينَ لِلْعَدُوِّ الْمُحْتَلِّ = هُمْ أَهْلُ الشَّانِ ، وَهُمْ الَّذِينَ يُقَدِّرُونَ الْمَفَاسِدَ ، وَالْمَصَالِحَ ، وَيَقَرَّرُونَ مَتَى يَصْلُحُ الْأَقْدَامُ ، أَوْ الْإِحْجَامُ ، وَالَّذِي نَعْرِفُهُ عَنْهُمْ أَنَّ عِنْدَهُمْ عُلَمَاءَ ، وَفُقَهَاءَ -مِنْ أَهْلِ فَلَسْطِينَ ، وَمِنْ خَارِجِهَا- يَسْتَشِيرُونَهُمْ فِيمَا يُرِيدُونَ فِعْلَهُ ؛ فَلَمَّا إِطْمَأَنَّتْ نُفُوسُهُمْ ، وَانْشَرَحَتْ صُدُورُهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوهُ أَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْجَلُوا بِالْبَدءِ فِي مَعْرَكَةٍ عَاجِلَةٍ ، ضَرُورِيَّةٍ ؛ إِذْ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ عَصِيبٌ جَدًّا ، وَأَنَّ الصَّهَابِيَّةَ -لَعَنَهُمُ اللَّهُ- يَعْمَلُونَ عَلَى قَدَمٍ ، وَسَاقٍ لِتَهْوِيدِ مَدِينَةِ الْقُدْسِ ، وَبِنَاءِ هَيْكَلِهِمُ الْمَزْعُومِ ، فَقَامُوا بِمَا قَامُوا بِهِ مُتَحَمِّلِينَ مَا يُصِيبُهُمْ -وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُمْ- مِنْ شِدَّةٍ ، وَضَرَاءٍ ، وَلَاوَاءٍ ، صَبْرَهُمُ اللَّهُ ، وَأَعَانَهُمْ ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَسَدَّدَ رَأْيَهُمْ ، وَرَمَيْهِمْ .

[٣] وَارَى أَنَّ الْقَوْلَ بِوُجُوبِ الْكَفِّ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ -حَالِيًا- بِحُجَّةِ عَدَمِ تَكَافُؤِ الْعَدَدِ قَوْلٌ ضَعِيفٌ جَدًّا ، وَهُوَ عَيْنُهُ مَا يُرِيدُهُ الْيَهُودُ الصَّهَابِيَّةُ ؛ لِيَتَوَسَّعُوا ، وَيَتَمَكَّنُوا ، خَاصَّةً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ نَصْرَاءَهُمْ -مِنْ الْعَرَبِيِّينَ ، أَوْ مِنْ أَدْنَاهِمُ الْمُنَافِقِينَ- يُؤَيِّدُونَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَيُعِينُونَهُمْ عَلَيْهِ ، وَيَدْعَمُونَهُمْ بِالْمَالِ ، وَالرُّأْيِ ، وَالسِّلَاحِ .

[٤] فَإِذَا تَقَرَّرَ عِنْدَنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدِينَ -بِمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ- مُجْتَهِدُونَ ، دَائِرُونَ بَيْنَ أَجْرِ الْمُجْتَهِدِ الْمُحْطِي ، أَوْ أَجْرِ الْمُجْتَهِدِ الْمُصِيبِ ؛ فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَثْرَبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يَقْدَحَ فِي نِيَّاتِهِمْ ، أَوْ يُخَذِّلَهُمْ ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ مَعَهُمْ ، وَيُثَبِّتَهُمْ ، وَيُعِينَهُمْ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُهُ ، حَتَّى يَنَالُوا مَا ابْتَغَوْهُ ، وَأَرَادُوهُ ؛ إِمَّا : النَّصْرَ ، أَوْ الشَّهَادَةَ .

وَأخيراً ، أَخْتُمُ بِكَلَامٍ لِسَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُثَبِّتًا عَلَى الْمَقَاوِمَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ ،

(١) الفتاوى الكبرى (٤/٦٠٨) .

يَقُولُ سَمَاحَتُهُ : "لَقَدْ ثَبَتَ لَدَيْنَا بِشَهَادَةِ الْعُدُولِ الثَّقَاتِ أَنَّ الْإِنْتِفَاضَةَ الْفِلَسْطِينِيَّةَ ، وَالْقَائِمِينَ بِهَا مِنْ حَوَاصِّ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ ، وَأَنَّ جِهَادَهُمْ إِسْلَامِيٌّ ؛ لِأَنَّكُمْ مَظْلُومُونَ مِنَ الْيَهُودِ ، وَلِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمُ الدِّفَاعُ عَنْ دِينِهِمْ ، وَأَنْفُسِهِمْ ، وَأَهْلِيهِمْ ، وَأَوْلَادِهِمْ ، وَإِخْرَاجَ عَدُوِّهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا الثَّقَاتُ الَّذِينَ خَالَطُوهُمْ فِي جِهَادِهِمْ ، وَشَارَكُوهُمْ فِي ذَلِكَ عَنْ حَمَاسِهِمُ الْإِسْلَامِيَّ ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَعَلَى بَقِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَأْيِيدُهُمْ ، وَدَعْمُهُمْ ؛ لِيَتَحَلَّصُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ ، ... وَلَا تَكُونُوا مَظْلُومُونَ ، فَالْوَاجِبُ عَلَى إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ نَصْرُهُمْ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ ؛ ...

فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْصُرَ إِخْوَانَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي فِلَسْطِينَ ، وَفِي غَيْرِهَا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَأَنْ يَجْمَعَ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَأَنْ يُوَفِّقَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا لِمُسَاعَدَتِهِمْ ، وَالْوُقُوفِ فِي صَفِّهِمْ ضِدَّ عَدُوِّهِمْ ، وَأَنْ يَخَذُلَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ أَيْنَمَا كَانُوا ، وَيَنْزِلَ بِهِمْ بِأَسْهُ الذِّي لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ" (١) ،

هَذَا آخِرُ الْجَوَابِ عَلَى مَا أُورِدَ مِنْ شُبُهَاتٍ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْوَهَّابِ .

(٢)

وَأَخِيرًا :

أَهْيَبُ بِإِخْوَانِي طُلَّابِ الْعِلْمِ - فِي خَارِجِ فِلَسْطِينَ - أَلَّا يَتَنَازَعُوا فِي أَمْرِ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ شَأْنٌ ، وَلَا إِخْتِيَارٌ ، فَمَهْمَةُ الْقِتَالِ - الدَّائِرِ الْآنَ فِي غَزَّةَ - قَدْ أُوَسَّدَتْ إِلَى رِجَالِ أَشِدَّاءَ ، أَشَاوِسَ ، هُمْ أَذْرَى بِسِيَاسَةِ الْحُرُوبِ مِنْكُمْ ، فَمَا عَلَيْكُمْ - فِي حَالَتِكُمْ هَذِهِ - إِلَّا إِعَانَتُهُمْ ، وَالِدُّعَاءُ لَهُمْ ، وَالشَّدُّ مِنْ أَرْضِهِمْ ، وَالْوُقُوفُ فِي صَفِّهِمْ ، وَاحْذَرُوا كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ حُذْلَانِهِمْ ، أَوْ التَّخْذِيلِ عَنْهُمْ ، وَالْوُقُوفِ فِي صَفِّ عَدُوِّهِمْ !! وَإِنَّ كَانَ ثَمَّةَ رَأْيٍ تُرِيدُونَ طَرْحَهُ ، وَتَبْيِينَهُ ؛ فَلَيْسَ مِنَ اللَّائِقِ بِكُمْ أَنْ تَطْرَحُوهُ ، وَتُعْلِنُوهُ عَلَى الْمَلَأِ الْآنَ ، فَوْقَتُهُ الْمُنَاسِبُ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ ؛ وَذَلِكَ حَتَّى لَا تُوقِعُوا الْخِلَافَ فِي صُفُوفِ إِخْوَانِنَا الْمُجَاهِدِينَ ، وَتَفْتَتُوا فِي عَضُدِهِمْ ، وَحَتَّى - أَيْضًا - لَا تُشْمِتُوا بِنَا الْأَعْدَاءَ ، أَوْ الْمُنَافِقِينَ الْبُغْضَاءَ ، وَإِنْ تَسَنَّى لَكُمْ نُصْحُهُمْ سِرًّا فَهُوَ الْمُتَعَيِّنُ عَلَيْكُمْ ، وَالْأُخْرَى بِكُمْ ، وَإِلَّا فَارْجِعُوهُ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، فَعِنْدَئِذٍ اجْلِسُوا مَعَهُمْ ؛ لِتَتَبَاحَثُوا مَعَ الْمَعْنِيِّينَ

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٤١٧-٤١٨) .

مِنْهُمْ بِمَا ظَهَرَ لَكُمْ ؛ وَذَلِكَ لِتَأْتِلَفِ الْقُلُوبِ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ، وَيُوصَدَ بَابُ الشَّرِّ عَلَى الشَّيَاطِينِ
-وَأَعْوَانِهِمْ- مِنْ أَنْ يُحَرِّشُوا بَيْنَ الْإِخْوَةِ ، وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ،
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ ،

وَالصَّلَاةُ ، وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ، وَمُصْطَفَاهُ ، وَعَلَى آلِهِ ، وَالصَّحْبِ ، وَالْأَتْبَاعِ .